آراء وجهود المستشرقين في القرآن الكريم

The views and efforts of the Orientalists in the Holy Quran.

إسماعيل جبارة [1]

[1]جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة (الجزائر) s.djebara@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/25 تاريخ القبول: 2021/05/04 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

أهدف في هذه المقالة الموسومة : آراء وجهود المستشرقين في القرآن الكريم إلى إبراز مختلف وجهات نظر المستشرقين تجاه القرآن الكريم ، بين المشدّدين في مواقفهم من القرآن الكريم، وبين المعتدلين في أحكامهم عليه ، وذلك بعرض آرائهم المختلفة و المتنوعة ، في ذلك الشأن ومناقشتها مناقشة عليمة ، كما يبرز المقال أيضا بعض جهود المستشرقين في تأريخ القرآن الكريم، وترجمته إلى مختلف اللغات الإنسانية ، حتى يتسنى للآخر المخالف الإطلاع عليه ، ومعرفة معانيه .

كلمات مفتاحية: استشراق ، ترجمة القرآن ، الآراء ، الوحي ، شبهات.

Abstract :

In this article entitled : The opinions and efforts of the Orientalists in the Noble Qur'an, I aim to highlight the various orientalists 'views towards the Noble Qur'an, between those who take strict positions against the Holy Qur'an and–those who are moderate in their judgments, by presenting their different and varied opinions in this regard ,throughout an informed discussion. . The article also reveals some of the orientalists'efforts in the history of the Noble Qur'an and its translation into various human languages, so that the other dissenting person can read it and understand its meanings.

[1] **المؤلف المرسل:** إسماعيل جبارة

المنارة للاستشارات

ww

Keywords: Orientalism - Quran translation -Opinions -Revelation- Suspicions.

1. مقدمة:

لقد أولى المستشرقون عناية بالغة للتأريخ الإسلامي ، وهذا منذ بداية الحملات الاستشراقية نحو الشرق، ويعد النص القرآني من أهم القضايا التي ركّز عليها المستشرقون في دراساتهم للشرق الإسلامي ، فمنذ عقود طويلة تضافرت الجهود الاستشراقية من أجل تحليل النص القرآني تحليلا تاريخيا ، وانقسموا في نظرتهم إلى كتاب الله إلى فريقين : الأول لا يرى فيه إلا كل سلبية ونقيصة ، فهو كتاب ألفه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أصحابه الذين جاؤوا من بعده ،و لا يلمس فيه أثر للوحي ، و أما الفريق الثاني فهو معتدل ، حاول أن يتفهم خصوصيته، ويعترف بقدسيته .

ودارت معالم النص القرآني عند المستشرقين في عدة اتجاهات ، فالبعض منهم اكتفوا بشن هجوم لاذع عليه وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والبعض الآخر اهتموا بالتأريخ له ، أما الفئة الأخرى من المستشرقين ، فقد توجهوا صوب ترجمته إلى مختلف اللغات الإنسانية . وقد حاول المستشرقون في دراساتهم للقرآن الكريم تطبيق النقد المتعالي الذي يسعى إلى مساواة كل كتاب سماوي ،أو غير سماوي أمام عدسة النقد ،وأسعى جاهدا في هذه المقالة إلى تسليط الضوء على جملة من العناصر أبرزها :

- مفهوم مصطلح الاستشراق .
- شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم .
- الرد على شبهات المستشرقين .
- عناية المستشرقين بتاريخ القرآن الكريم .
- جهود المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم .

فما مفهوم الاستشراق يا ترى ؟ وما هي أهم شبهات المستشرقين التي تشكك في صحة القرآن الكريم ؟ وهل قدّم المستشرقون خدمات للدراسات القرآنية ؟ وفيما تتمثل تلك الخدمات ؟

2. مفهوم مصطلح الاستشراق :

يرى بعض الدارسين المهتمين بالدراسات الاستشراقية أن تحديد مفهوم كلمة الاستشراق،يقتضي الرجوع إلى أحد المعاجم العلمية الحديثة ،« ثم الاطلاع على رأي علماء الغرب ، وعلماء العرب، لكي يكون بالإمكان بعد ذلك القيام بمحاولة وضع تعريف محدد لهذا المصطلح.» محمد أمين حسن ،

المنارة للاستشارات
ww

2004،ص12). فلقد جاء مصطلح الاستشراق في معجم متن اللغة كما يلي :« استشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم – مولدة عصرية . يقال لمن يعتني بذلك من علماء الفرنج ... و المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق و لغاته وآدابه ». (محمد أمين حسن ، 2004،ص12).

تعود لفظة الاستشراق لغة إلى الفعل (شرق) ، فالشين و الراء و القاف أصل واحد يدل على «إضاءة وفتح ، ومن ذلك (شرقت الشمس) ،إذ طلعت و (أشرقت) إذا أضاءت ، والشروق طلوعها » . (ابن فارس ،ت 395هـ ، ص264) .أما (الشرق) بسكون الراء: « فهو المكان الذي تشرق فيه الشمس».(ابن منظور ، ت 711، ص65). ونقول « (قد شرّقوا) :إذا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق .» (الزبيدي ، ت1205هـ ، ص501).

ويظهر أن كلمة الاستشراق « لم ترد في المعاجم العربية المختلفة ، بل ورد ذكر جذورها وهو (شرق) ...غير أن مفهومها اللغوي يتضح من خلال الاستناد لقواعد الصرف وعلم الاشتقاق، فالاستشراق مصدر للفعل (استشرق) ، وهو طلب الشرق ، كما يقال :استفهم ،إذا طلب الفهم ، واستنصر ،إذا طلب النصر ، واسم الفعل من (استشرق) : مستشرق ، وهو الذي يطلب الشر ق ».(أمجد بن يوسف الجنابي ، 2015،ص771).

أما في المفهوم الاصطلاحي : فيقصد به « حركة علمية عنيت و لا زالت تعنى بدراسة المدنيات الشرقية ، ما غبر منها وما حضر ، وما طمس ذكره منها وما استقر ، وبما خلفته تلك الحضارات من قوى ...و آثار فكرية و آدبية وفنية ودينية ، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة ، وبما فيها من من شعوب و أجناس ومذاهب ومدارس ، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية وهو خليق بأن نحييه نشرا وطباعة» .(يوسف أسعد داغر ،1961، ص12).

أما مفهوم الاستشراق عند الغرب فقد ورد في تعاريف متعدد لهذا اللفظ وصفاته (المستشرق) ، فقد جاء في قاموس أكسفورد الجديد :« تحديد معنى المستشرق (orientalist) ،بأنه من تبحر في لغات الشرق و آدابه» .(يوسف أسعد داغر ،1961، ص12). وعرّف ديتريش المستشرق بأنّه : « هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ،و لن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق» .(يوسف أسعد داغر ،1961، ص12)، أما جويدي (Guidi) ، فقد عرّف علم الاستشراق بقوله :« إنّ الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو علم الشرق » . (يوسف أسعد داغر ،1961، ص13).

المنارة للاستشارات

في حين يذهب البعض منهم أن أصول مصطلح الاستشراق ترجع إلى العصر الوسيط ، بل هناك من يرجعها إلى العصور القديمة ، « أي إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط ،كما قيل يقع في وسط العالم، وكانت الجهة الأصلية تتحدّد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق، رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط».(محمد حسين علي الصغير ، 1999، ص12).

ويبدو مصطلح الشرق لم يقتصر على هذه الرقعة جغرافيا فحسب ، «بل تجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية ، وشمال إفريقيا ، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية ، فعدّت كل من مصر و المغرب وشمال إفريقيا، وما تعرّب من سكان هذه الدول من الشرق ، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلام ، ولغتها العربية».(محمد حسين علي الصغير ، 1999، ص12).

وكما تخطّى مصطلح الشرق حدوده الجغرافية إلى « غرب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا ، فقد تخطّى مصطلح الاستشراق الغربيين ، وتجاوزهم إلى المستعربين بعامة ، ممن لم يعتنقوا الإسلام دينا ، ولم ينطقوا بالعربية لغة ، وكان من شأنهم أن بحثوا في تراث الشرق لغة وأدبا ، وإن كانوا شرقيين ، فشملهم هذا التعبير ، وغمرهم هذا المصطلح ، فعادوا مستشرقين».(محمد حسين علي الصغير ، 1999، ص12). وأصبح الاستشراق اليوم بمثابة علم له كيانه ومنهجه ومدارسه ،«وفلسفته ودراساته ،ومؤلفاته و أغراضه ، وأتباعه ومعاهده ومؤتمراته ، و لابد للباحث في هذا المجال من الاعتناء بتحديد مفهومه ، و الوقوف على معالمه البارزة ، وآفاقه ومظاهره ، و أطواره وخصائصه ، و أهدافه ».(محمد حسين علي الصغير ، 1999، ص11). وذلك قبل أن يبحث في آثاره وميادين نشاطه.

وهكذا نجد أن مصطلح " المستشرق" يقصد به « كل من لجأ من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية ، وتقصي آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية ، من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها و آدابها ،أو غير ذلك من مقومات الأمم ، و الأصل في كلمة استشرق أنه صار شرقيا ».(محمود ماضي ، 1996، ص13) .

فالواقع أن الاستشراق ظاهرة قد حدثت نتيجة أسباب نظرية وعملية ، وهناك من يصفونه من حيث كونه اتجاها فكريا ، بغض النظر عن إطاره الجغرافي ، فيشمل عندئذ غير المسلمين من عرب وغيرهم ، فهو يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام و العرب بصفة خاصة.

المنارة للاستشارات
ww

وقد يعمم مدلول مصطلح الاستشراق ليشمل الدارسين للإسلام من المنظور الغربي ،سواء كانوا غربيين أو عربا ، غير أنّ هناك من جعله يقتصر بالباحثين الغربيين من غير المسلمين على اختلاف مناهجهم ومدارسهم ،وتعميمه من حيث ميدان الدراسة و إطارها ، بحيث يشمل العالم الشرقي

3. شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم :

بما أن القرآن الكريم هو قمة الإعجاز و البلاغة في اللغة العربية فقد ،« كان محطّ أنظار المستشرقين في دراستهم وبحوثهم ، فقام فئة منهم بتدوين كتب ورسالات كثيرة في مختلف مجالات البحث في القرآن الكريم ،مثل البلاغة في أسلوب القرآن ، التفسير، ترجمة القرآن الكريم ، تاريخ القرآن الكريم ، وبحوث مختلفة أخرى » . (عبد الله خضر حمد ،2015، ص42). حتى أضحى القرآن أغنى المواضيع عند المستشرقين على الإطلاق ، فبحثوا في جزئياته وكلياته ، وانصّبت بحوثهم الأكاديمية حوله بشكل يلفت النظر ، ويستوقف الباحث.

ولقد تشكلت لدى بعض المستشرقين صور سلبية تجاه القرآن الكريم ووصفوه « بأنه نسيج من السخافات ، وبأن الإسلام مجموعة من البدع ، وبأن المسلمين وحوش ، وكان نموذج ذلك من المستشرقين : نيكولا دكيز ، وفيفش ، وفراتشي ، وهوتنجر ، ويلياندر وبريدو وغيرهم ». (محمد حسين علي الصغير ، ص 14).فهؤلاء المستشرقون يعتبرون النص القرآني ، نصا بشريا ، يحمل الكثير من الأساطير و الخرافات.

ونجد قسم آخر من المستشرقين الألمان و اليهود أمثال: " فيل" وجولد سهير وبول ، وغيرهم قد عمدوا إلى« القول بأن القرآن حرّف وبدّل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام الأول ، و أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصاب بالصرع ، وأنه ما كان يسميه الوحي الذي ينزل عليه ،إنما كان أثر لنوبات الصرع ، فكان يغيب عن صوابه ، ويسيل منه العرق ، وتعتريه التشنّجات ، وتخرج من فيه الرّغوة ،فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحي إليه ، وتلا على المؤمنين ما يزعم أنه من وحي ربه ». (محمد حسين علي الصغير ، ص 14).فهذه الشبهة التي بنى عليها المستشرقون تصوراتهم ، قد أخذوها عن مشركي مكة الذين كانوا يتهمون النبي صلى الله عليه و سلم بأنه كان يتعرض لنوبات صرع .

كما ذهب المستشرق الألماني غايغر إلى نفس الاتجاه في موقفه من شأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين عبر بقوله : « هكذا إذن كان الاقتباس عن موروث الديانات الأخرى مناسبا تماما لأهدافه مع أن الحذر من العرب ، بمعنى التخوّف من اتهامه بكونه مجرد قصاص ، لم يمنعه من جهة لكونه يمكنه

المنارة للاستشارات
ww

الارتياح لجهلهم ، ومن جهة ثانية لأن ذلك مجرد اتفاق لابد منه بخصوص ما انبثق عن كائن (الله) من عبارات (الوحي) ، ينبغي أن يكون ذلك بالفعل، وحيا ومحمد لم يأخذ أبدا شيئا عن اليهود و النصارى».(محمد عزوي ،2017،ص76) . وهذا الشبهة التي ذكرها المستشرق غايمر من نكران الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ، شبهة قديمة كان يركن إليها أصحاب القلوب الجافة من مشركين وكفار مكة .

ويصل المستشرق غايغر ، بعد أن أقدم بعدم قدرة محمد على الاطلاع مباشرة على النصوص القديمة ، اليهودية و النصرانية ،« إلى مرحلة يجد نفسه فيها مضطرا إلى الاعتراف لمحمد بموهبة كبيرة ، في التحكم في المادة المحكية ، واختيار ما يناسب أهدافه منها ، ووضع كل الاحتمالات الممكنة ، مثلما يفعل كتاب الروايات البوليسية ، تفاديا للوقوع في التناقض أو الخطأ » . (محمد عزوي ،2017،ص76) .

ومن ثمة نجد أن من المستشرقين من تخيّل القرآن الكريم ،« أنه من إنشاء محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم وهم أنه كلام مؤلف من الكتب السماوية القديمة مع الإضافات من عنده ، في حين ظن بعضهم أن القرآن مجموعة من العقائد الخرافية و الآداب السطحية ، وغير ذلك من أقوال واتهامات ». (أنور أحمد خان البغدادي ، 2020، ص33).

أما الشبهة الأخرى التي تثير الاستغراب ، هي شبهة اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالساحر و المجنون و الشاعر ، وهي تهم وأكاذيب رددها قريش مكة زمن الدعوة المحمدية ، فقد ادعى بعض من المستشرقين« أن النبي صلى الله عليه وسلم، إما أن يكون شاعرا ،و إما مفكرا ،وإما مصابا بداء الصرع ، وإما ساحرا ،أو أنه اعتمد في وضع الكتاب على المصادر اليهودية و المسيحية ،حتى لقد أتى بعض مستشرقي القرون الوسطى بزعم عجيب ،وهو أن مسيحيين ويهودا أعدوا خصيصا لهذه المهمة ، وهم الذين جمعوا القرآن من رقع الكتاب المقدس ، وذلك إرضاء لحاجة الجماهير المسلمة».(محمد خليفة ، 1994، ص39).

و الشبهة الأخرى التي لا تقل هي الأخرى سخافة، وتعد من أباطل ومغالطات المستشرقين أن محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يساعده بعض أحبار وعلماء اليهود و النصارى ، وهي شبهة رددها أيضا كثيرا المشركين في مكة زمن الدعوة ،كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : {{ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }} سورة النحل ، الآية 103. وهذا ما ذهب إليه المستشرق جورج أسيل حين عبّر : « أن محمد كان في الحقيقة مؤلف القرآن المخترع الرئيسي له ،فأمر لا يقبل الجدل ،

المنارة للاستشارات
ww

وإن كان المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره ، في خطته هذه ، لم تكن معاونة يسيرة ، و هذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك».(علي إبراهيم النملة ، 2010، ص29).

أما بعض من المستشرقين فلم يكتفوا بذكر أراجيفهم ، بل امتدت أيديهم إلى متن النص القرآني ،و شرعوا في استخراج بعض الاستنتاجات الخاطئة، و التافهة مثلما فعل المستشرق مونتيه فقد أكد مثلا أن « سور المائدة تفتقر إلى الوحدة بين موضوعاتها الشديدة التنوع من الصيد إلى يحل ويحرم من الطعام و النساء ،إلى الصلاة ،إلى الزكاة ،إلى الوضوء إلى اليهود و النصارى ،إلى السرقة ،إلى القصاص ،إلى الخمر و الميسر إلى الإشهاد على الوصية» . (إبراهيم عوض ، 2002، ص49).

غير أن طائفة أخرى من المستشرقين ركزت على الدراسة السوسيولوجية للبيئة التي نزل فيها القرآن ،فقد ادعوا أن الفرق بين البيئتين (مكة و المدينة) ،جعل النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب كل بيئة بأسلوب يختلف عن بيئة أخرى، فاعتقد المستشرقون أن ذلك دليل على بشرية النص القرآني ، فقد عبر البعض منهم أن «اختلاف الأسلوب بين العهد المكي، و العهد المدني يعتبر انعكاسا واضحا للبيئة التي وجد فيها ، النصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة ،وظروف كل مكان وكل زمان – فالأسلوب القرآني يمتاز في مكة بالشدة و العنف لأن أهلها أجلاف بينما يمتاز في المدينة باللين و الوضوح و الصفح لأن أهلها مستنيرون». (حسين عزوزي ،2007، ص39).

وتشمل الشبهات و المغالطات التي بنى عليها المستشرقون تصوراتهم على مختلف الأكاذيب التي كان يرددها كفار مكة، الذين وقفوا في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ،ورفضوا الاستجابة لدعوته ، وما شبهات المستشرقين إلا امتدادً لتلك المواقف السلبية المعروفة عن كفار قريش ، وكل هذه الشبهات لم تعتمد على أسس واستنتاجات منطقية، بل هي أحداث متفرقة قام المستشرقون بلصقها في صور متناقضة .

4 .الرد على شبهات المستشرقين :

إنّ الشبهات و الأكاذيب و المغالطات التي انطلق منها المستشرقون في حكمهم على النص القرآني ، ما هي في الحقيقة إلا استنتاجات وهمية وخيالية وطوباوية ، لا أساس لها من الصحة و لم تكن مبنيّة على قواعد علمية ،ومن بين الشبهات السخيفة للمستشرقين عن القرآن الكريم شبهة إثبات دعوى تأثر القرآن وأسلوبه بالبيئة التي نزل فيها هو القول بأن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم لا كلام الله تعالى.« ويتجاهل المغالطون من المستشرقين الذي يعلمون جيّدا مر احل تطور الدعوة الإسلامية من

المنارة للاستشارات
ww

مكة إلى المدينة في ظل بيئة جديدة ،قد أصبح يستدعي التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد ...فالأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة، وتدمير معالم العقيدة الوثنية السائدة كما أن طبيعة الأسلوب القرآني قد اختلفت من مكة إلى المدينة نظرا لمرعاة حال تدرج الدعوة » . (حسين عزوزي ،2007، ص39).

كما تكفل بعض المستشرقين المعتدلين في الرد على شبهات الصادرة من بعض المستشرقين المتعصبين و الحاقدين على كل ما له صلة بالإسلام و القرآن الكريم ، فهذا المستشرق شيبس يقول في رده على الادعاءات الكاذبة :« يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد ، وهذا الخطأ المحض ، فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ، و ليس في استطاعة محمد ، ذلك الرجل الأميّ في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحاور فيه عقول الحكماء ،ويهدي بها الناس من الظلمات إلى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة ، لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية و النظم المحكمة ، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها فقط ، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات» . (علي إبراهيم النملة ، ص 31) .

أما الشبهة التي يعتقد فيه المستشرقون أن محمد صلى الله عليه وسلم قد حصل على القرآن الكريم من اطلاعه على بعض المرويات اليهود و النصارى ،أو العارفين عموما بشؤون الدين ، وإذا كان الأمر كذلك ، « فلم لا يكون قد اطلع عليها أيضا آخرون مثله ؟ ثم هل يعقل أن يحصل هؤلاء الآخرون على المعلومات المتعلقة بالديانتين فقط عن طريق السماع ؟ لا بد أن يكون قد حدث اتصال مباشر من طرف العرب مع النصوص ، الشيء الذي سيمنح فرصة أكبر ، لمعرفة التفاصيل و القصص» .(محمد عزوي ، 2017، 77).

أما الشبهة الأخرى التي ذكرها بعض المستشرقون و المتمثلة في نوبة الصرع التي كانت تنتاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي الأخرى مغالطة و أكذوبة من أكاذيب المشركين ، فقد أثبتت الدراسات النفسية المعاصرة أن « نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها ، ذلك أن حركة الشعور و التفكير تتعطل فيه تمام العطل».(محمد حسين علي الصغير ، ص15). فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم يذكر كل التفاصيل و وبإحكام ودقة؟ ، ولو كانت نوبة هي التي تحرك النبي صلى الله عليه وسلم كما يروجون ، لوجدنا كلامه بعد زوال النوبة غير مؤسس وغير منطقي ، وحاشا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكون كما يروجون .

المنارة للاستشارات
ww

أما شبهة المستشرق مونتيه التي يعتقد فيها أن سورة المائدة تفتقر إلى الوحدة بين موضوعاتها ، نجدها شبهة سخيفة، إ ذ بالعودة إلى السورة وقراءتها بالتمهل ،« سوف يجد أن هذا الخيّط العام ينتظم هذه الموضوعات التي ذكرها المترجم ، إذ تبتدئ السورة بدعوة الذين آمنوا إلى الوفاء بالعقود ، ثم تذكر بعض هذه العقود ، ثم تكرّ بعد قليل على اليهود و النصارى ذاكرة أن الله أخذ ميثاقهم» .(إبراهيم عوض ، 2002، ص 49) .

فمجمل القول أن كل الشبهات التي اعتمد عليها المستشرقون هي من نسج خيالهم ، وليست موضوعية و لا علمية، بل جاءت نتيجة لحقدهم الدفين تجاه الإسلام و المسلمين في محاولة منهم لضرب استقرار المسلمين العقائدي ، ومن ثمة يتحولون إلى لقمة سائغة في يد الغرب .

5.عناية المستشرقين بتأريخ القرآن الكريم :

لقد عنيّ المستشرقون بتأريخ القرآن الكريم و خاض الاستشراق في تاريخ القرآن« فشكك في الوسائل استخدمت لحفظه ، ومن ثم نفى أن يكون القرآن قد دوّن في عهد النبوة ، وحكم على ما دوّنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأنه يختلف في مضمونه وترتيبه عما كان يحتفظ به بعض الصحابة، وأن مصحف عثمان بن عفان لم يلق قبولا من كل المسلمين ، و أنه في عهد عبد المالك بن مروان أدخلت على القرآن تغييرات وتعديلات » . (سعدون الساموك ، 2010، ص 45).

وهناك مسألة مهمة تتعلق بتأريخ القرآن ،« بل بقدسيته وتوثيقه ، وهي مسألة التحريف التي أثارها المستشرقون ، بكثير من عدم التورع ، وقد ألقت بثقلها عند الأستاذ بول ، فكتب في موضوع التحريف بحثا في دائرة المعارف الإسلامية الألمانية». (محمد حسين علي الصغير ، ص 31).

كما كانت عناية المستشرقين مطردة ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر إلى المنتصف الثاني من القرن العشرين ،« فقد خصص المستشرق الفرنسي بوتيه (1883/1800م)،وقتا كبيرا لدراسة تأريخ القرآن الكريم ، فعكف على ذلك وبحث تأثره بما تقدمه من ديانات وظروف أحاطت بنزوله وغايته ، و العقائد الموافقة و المضادة له في غيره من الأديان ، وتأثيره في الاجتماع و التمرين ، ثم الأشهر و الجمع التي يقدسها ، و المذاهب التي نشأت عنه لدى المسلمين ، وقد نشرت دراسته هذه في باريس عام 1840م».(محمد حسين علي الصغير ، ص 21).

ولما جاء المستشرق الألماني جوستاف فايل (1808م 1889م) « أصبح الحال مختلف فيما كتبه في رسالته " مدخل تأريخي نقدي إلى القرآن " ،إذ امتازت بحوثه بشمولية ، الموضوع ، ومعرفة المنهج التأريخي

المنارة للاستشارات
ww

، وإن كان لا يخلو من الثقافة التلمودية ،لأن الكاتب من أصل يهودي ، وقد قسّم فيه السور المكية لأول مرة إلى ثلاث مجموعات ، تقسيما أخذ عنه (نولد كه) فيما بعد».(محمد حسين علي الصغير ، ص 22).

ومع الجهد الكبير الذي بذله نولد كه (1836م ،1930م) في تأريخ القرآن إلا أننا نجد « موقفه أحيانا غريبا ومتناقضا ، ففي الوقت الذي يعقد فيه بكتابه فصلا بعنوان : (الوحي الذي نزل على محمد و لم يحفظ في القرآن) ، والذي يبدو فيه بالتحريف تلميحا ، نجده يصرح بذلك في مادة قرآن فيقول بدائرة المعارف الإسلامية : أنه مما لاشك فيه أن هناك فقرات من القرآن ضاعت ، ويثني على هذا الموضوع الخطر في دائرة المعارف البريطانية ، مادة قرآن فيقول : إن القرآن غير كامل الأجزاء». (محمد حسين علي الصغير ، ص 24/23).

وفي الوقت الذي كان نولدكه يعجب بسحر القرآن البلاغي ، و إعجازه البياني ، يظهر في بحثه عن القرآن وأسلوبه في دائرة المعارف البريطانية« تحت لفظ القرآن ، يغمز أسلوب القرآن الكريم باعتباره أسلوبا قصصيا ينقصه التسلسل في طريقة الإخبار والسير ، ويرى في قصصه انقطاعا حتى ليصعب فهمها على من لم يطلع عليها في مصدر آخر ، وانتقد في القرآن الكريم تكرير بعض الألفاظ و العبارات تكريرا لا مسوغ له في رأيه». (محمد حسين علي الصغير ، ص 24).

ويعد كتاب تاريخ القرآن لصاحبه نولدكه بمثابة ،« عمل نموذجي استحق به عن جدارة مكانة علمية رفيعة ،و أصبح الكتاب أحد المصادر الهامة التي ربما لا يستغني عنها باحث . هو عرض تاريخي مفصل لكل المسائل و الموضوعات التي تتصل بالقرآن الكريم منذ نزول الوحي، وحتى صدور آخر طبعة للقرآن الكريم في عصر المؤلف » . (عمر لطفي العالم ، 1991، ص153).

يرى بعض من الدارسين أن كتاب(تاريخ القرآن) لنولدكه « واحد من البحوث القيّمة التي كانت بمثابة تحول عظيم في تصحيح مفاهيم الغرب عن الإسلام و العرب ، ويعد بحق أدق ما أنتجه الغرب في هذا الميدان حتى الآن ، إذ بحث صاحبه فيه بتضلع وعمق ، وحاول أن يكون موضوعيا بقدر الإمكان .وقد تناول البحث حقيقة الوحي و النبوة وما بينهما من علاقة ، ثم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أساب نزول وآيات ». (رضا محمد الدقيقي ، 2011، ص35).

ولما جاء المستشرق الألماني (كارل بروكلمان 1956،1868م) شرع في عرض « لتاريخ القرآن في الفصل الثاني من الباب الثاني من تأريخ الأدب العربي ، وقد خصص في هذا الفصل الموجز له ، فعرض

المنارة للاستشارات
ww

للوحي ، وجمل القرآن المؤثرة ، وأخطأ باعتباره القرآن يأخذ طابع سجع الكهان». (محمد حسين علي الصغير ، ص26). وتبقى جهود المستشرقين في التأريخ للقرآن الكريم فيها الكثير من التحفظات ، لأن في ظاهرها هي دراسة علمية ،وفي باطنها هي محاولة تسريب سموم الشك إلى المسلمين .

6. جهود المستشرقين في ترجمة القرآن:

من أبرز جهود المستشرقين في دراساتهم للتراث الإسلامي ، عنايتهم الخاصة بترجمة القرآن الكريم إلى أمهات اللغات العالمية ، «و الترجمة تحتاج إلى ذائقة فنيّة رائعة ،وأصالة في الفكر ، وإحاطة بصنوف البيان العربي ، إذ ليس من اليسير أن ينبري أفراد أو جماعات ، لغتهم الأصلية هي غير اللغة العربية ، لترجمة أعظم نص عربي ، اتسم ببلاغته الفائقة ،و أقدس كتاب عند المسلمين رأوا إعجازه في نظمه وتأليفه ، وسحره في أسلوبه وجودة تعبيره ». (محمد حسين علي الصغير ،ص 63).

ولقد تعرّف كثير من المستشرقين الأوائل على النص القرآني من خلال ترجمة المستشرقين أنفسهم لمعانيه إلى اللغات الأوروبية ، «التي اعتمد لاحقها على سابقها ، مما كان سببا من أسباب الالتفات عن الإعجاز في القرآن الكريم ... و إنه تعرض لنص القرآن الكريم من المستشرقين و العلماء الغربيين بلغة القرآن الكريم العربية نفسها كانت له مواقف أكثر نزاهة ممن تعرضوا للنص القرآني مترجما من قبل مستشرقين سابقين أو معاصرين».(علي إبراهيم النملة ، 2015ص42/41).

ولقد أثنى جورج سيل على القرآن الكريم ،« وترجم معانيه إلى اللغة الانجليزية ، لكنه نفى أن يكون وحيّا من عند الله ، بل أكد على أنه من صنع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : أما أن محمد كان في الحقيقة مؤلف القرآن المخترع الرئيسي له ، فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره ، في خطته هذه ،لم تكن معاونة يسيرة . وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك».(علي إبراهيم النملة ،ص69).

كما حاول الكثير من المستشرقين ترجمة القرآن الكريم ،« ترجمة كلية من ألفه إلى يائه رغم كل الصعوبات اللغوية و الزمنية ،وقد وفق بعضهم في ذلك ، وخاب البعض الآخر ، وباستقراء الموضوع يبدو لنا بداية العمل في هذا الشأن ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي». (محمد حسين علي الصغير ، ص 69).

ففي أوربا تمت أول ترجمة للقرآن « بين عامي (1141م ،1143م) إلى اللغة اللاتينية بتوجيه وبطلب من الأب (بيتروس فينيرابيليس) رئيس دير (كلوني) بفرنسا ، وكانت مركزا مهما وكان ذلك على أرض

المنارة للاستشارات
ww

اسبانية ، ويعتقد الأستاذ (بلاشير) أن هذه الترجمة لم تكن أمينة أو كاملة النص». (محمد حسين علي الصغير ، ص 64/63).

ونشر المستشرق الايطالي (اريفاين) « أول ترجمة من القرآن إلى الايطالية ، فلما دخلت الحروف الشرقية إليها ، نشر فيها الساندرو (باجيني) أول طبعة من القرآن للنص العربي ، (البندقية) عام 1530موفي عام 1594م أصدر هنكلمان ترجمته للقرآن».(محمد حسين علي الصغير ، ص /64). ثم ترجم القرآن إلى اللغة الألمانية من قبل« (شنيجر النور مبرجي عام (1616م)، وأعقبت ذلك ترجمة إلى الفرنسية بقلم (سيور دوريز) (باريس 1647م) ،وقد انتفع بهذه الترجمة :الكسندروس ،أحد قساوسة كاريسبروك ، حينما نقلها إلى الإنجليزية ،(لندن 1649م». (محمد حسين علي الصغير ، ص 65/64،).

وفي إيطاليا يبدو أن الأبد (دومينيك جرمانوس) (1588م 1670م)« قام بأول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية ،.وكان المستشرق الفرنسي (مارسل ديفيك) (ت: 1686م) أول من عثر عليها عام (1883م)... وترجمة (جرمانوس) قد سبقت (ماداتشي) بثلاثين عاما إذ يوجد نص لاتيني للأب (ماداتشي) يعود إلى عام 1698م في ترجمة القرآن ، وقد أفاد من هذه الترجمة (ج سيل الانجليزي عام 1734م 1764م) ، وما تمتاز به ترجمة باداتشي (1612م 1700م) أنه نشر القرآن متنا وترجمة إيطالية أيضا مع شواهد من مصادر عربية لم ينشر معظمها حتى يومنا هذا (بادوري 1698م)». (محمد حسين علي الصغير ، ص ،65).

وقد قام جورج سيل عام (1697م 1736م))« بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية ، وقد نجح في ترجمته ، فذكرها (فولتير) في القاموس الفلسفي ، وأعيد طبعها مرارا ، وقد اشتملت على شروح وحواش ومقدمة مسهبة هي في الحقيقة بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي عامة ، حشاها بآلافك و اللغو و التجريح ، وقد نقلها إلى العربية : ابن الهاشم العربي (القاهرة 1913م». (محمد حسين علي الصغير ، ص ،65).

وهناك ترجمة فرنسية للقرآن الكريم تمتاز بالضبط والدقة ،للأستاذ إدوار مونتير ، وقد تحدث عنها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بما نصه : « كنت طالعت في مجلة المنار مقالا للأمير شكيب أرسلان عن ترجمة فرنسية حديثة للقرآن الكريم وضعها الأستاذ إدوار مونتيه وقد قال عنها :أنها أدق الترجمات التي

المنارة للاستشارات
ww

ظهرت حتى الأن وقد نقل عنها إلى العربية مقدمة هذه الترجمة. وهي فن تأريخ القرآن وتأريخ سيدنا رسول الله ،وقد نشرت في المنار». (محمد حسين علي الصغير ، ص ،66).

كما نجد هناك جهود متناثرة في ترجمة القرآن جزئيا ،باقتطاف بعض سوره ،« وإخضاعها إلى الترجمة في لغات شتى ، ففي حروب بولونيا مع الأتراك اقتنى أندراي أكولوتوس (1654م 1704م) نسخة القرآن ، بترجمتين تركية وفارسية فترجمها ، ولكنه لم يوفق إلى نشرها فاكتفى بنماذج منها ، مرفقا كل نص عربي بترجمة فارسية وتركية ولاتينية بعنوان : نصوص من القرآن مترجمة إلى أربع لغات برلين 1701م » . (محمد حسين علي الصغير ، ص ،69).

وقد ترجم القرآن جزئيا البركازيميرسكي البولوني(1808م 1887م) ،« إلى الفرنسية ترجمة تعوزها بعض الأمانة العلمية وفهم البلاغة العربية ، وقد ترجم عدة فصول من القرآن إلى الاسبانية المستشرق السويدي سترستين ، ونشرها في مجلة العالم الشرقي عام (1977م) ». (محمد حسين علي الصغير ، ص 69). وقد نقل المستشرق الدارنماركي (بول) عدة أجزاء من القرآن إلى الدانماركية فأظهر في ذلك سعة اطلاع على الإسلام. يعترف المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بيرك أن « محاولته ترجمة معاني القرآن الكريم ، ليست محاولة لتفسير معاني القرآن الكريم، لان الترجمة الحقيقية للنص القرآني مستحيلة ، فألفاظ عبارات القرآن الكريم لها مدلولات ومؤشرات عميقة لا تستطيع اللغة (القابلة) أن تنقلها بكل ما تحتويه من معان ظاهرة وخفية». (علي ابراهيم النملة ، ص14).

و من العجيب أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات اللاتينية ، و إلى اللغات الأوروبية الأخرى (اللغات الغربية) ،« كالجرمانية ، قد بدأت على أيدي غربيين ، غير مسلمين ، ورغم كثرتها إلا أن أبرزها ترجمة المستشرق الانجليزي جورج سيل (1697م 1736م) إلى اللغة الانجليزية ،التي وضع لها مقدمة ، قرر فيها أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي ألف القرآن الكريم ، وإن كان لم يستبعد أن يكون قد عاونه أحد من حكماء عصره ، من بني قومه ، أو من اليهود و النصارى » . (علي إبراهيم النملة ، ص 20).

وتبقى جهود المستشرقين في ترجمة القرآن واحدة من المساهمات في انتشار الإسلام ومعرفته بين الأمم و الثقافات المختلفة ،إلا أن النص القرآني باعتباره نصا مقدسا يجد فيه المترجم صعوبة في الحفاظ على جماليته ،ومعانيه في كثير من الأحيان، وربما يغرق في الترجمة الحرفية ، وهو ما يفقد النص أيضا قيمته

7.خاتمة :

المنارة للاستشارات
ww

نصل في نهاية المقالة : أن شخصية النبيّ استرعت انتباه المستشرقين من كافة المشارب و الاتجاهات، وبشكل ينبئ بأن إقناع الناس بانحراف الإسلام، أو زيف مبادئه رهين بإثبات ذلك في شخص النبيّ ، فقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة ، وبذلوا محاولات مستميتة لبيّان أنّ القرآن ليس وحيّا من عند الله، وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد قدم بعض المستشرقين الكثير من شبهات حول القرآن الكريم ،وشكّكوا في صحته ومصدره ، كما حاولوا دراسة القرآن الكريم، والتوقف عند مضامينه ، فألفوا كتبا في تاريخ القرآن ، وترجموه إلى مختلف اللغات الإنسانية حتى يتسنى للأخر المخالف الاطلاع عليه .

ويبقى خطر الاستشراق على الإسلام و المسلمين قائما ، وهي إحدى الخطط الخبيثة التي حاول بواسطتها المستشرقون التغلغل في المجتمع الإسلامي ، لذا ينبغي على المسلمين أخذ الحيطة و الحذر من الدراسات الاستشراقية التي تهدف إلى هدم أحد مقومات المسلمين ،وهي التشكيك في القرآن الكريم ، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بفتح معاهد جامعية في مختلف الجامعات العربية و الإسلامية ،تختص بالدراسات الاستشراقية للرد عليها ودحض مشاريعهم، وتكون حصنا منيعا للمسلمين.

8.قائمة المصادر و المراجع :

1.8المعاجم :

-1-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر .

-2- ابن منظور : لسان العرب ،ت 711هـ ، دار صادر بيروت ط2005/4 .

-3- الزبيدي (ت1205هـ)تاج العروض ، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت 1960 .

2.8المراجع :

-1- علي بن إبراهيم النملة : المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه ، دار التدمرية (ط1) المملكة العربية السعودية 2015

- 2- علي بن إبراهيم النملة : المستشرقون و القرآن الكريم في المراجع العربية ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام (ط1) بيروت لبنان 2010

-3- عمر لطفي العالم : المستشرقون و القرآن ، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، مركز دراسات العالم الإسلامي السعودية، (ط1) 1991 .

المنارة للاستشارات

ww

-4- إبراهيم عوض : الاستشراق و القرآن دراسة لترجمة نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وأرائهم فيه ،(ط1) القاهرة 2002

-5- سعدون الساموك : الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ،دار المناهج للنشر والتوزيع (ط1) عمان الأردن 2010

- 6- محمد خليفة : الاستشراق و القرآن العظيم ،نقله إلى العربية ،مروان عبد الصبور شاهين ، (ط1)القاهرة 1994

-7 - محمد عزوي القرآن في الدراسات الاستشراقية الالمانية دراسة نقدية ، دار الخليج ، (د،ط) المملكة الأردنية 2017

- 8- حسن عزوزي آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، (د،ط) فاس المغرب 2007 .

-9- محمود ماضي :الوحي القرآني في منظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة للطبع و النشر والتوزيع (ط1)الإسكندرية ، مصر 1996

-10- عبد الله خضر حمد : القرآن الكريم وشبهات المستشرقين (قراءة نقدية) ،دار الكتب العلمية ، (د،ط) 2018

-11- محمد حسين علي الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ،دار المؤرخ العربي ،(ط،1) بيروت ، لبنان ، 1999.

-12- محمد أمين حسن محمد بني عامر المستشرقون و القرآن الكريم ،دار الأمل للنشر و التوزيع (ط،1)،أربد الأردن ، 2004 .

-13- أنوار أحمد خان البغدادي : موقف المسترقين من لغة القرآن الكريم ، دار الملك للتحقيق و الترجمة و الطباعة و النشر، (د،ط) 2020.

-14- رضا محمد الدقيقي : كتاب تاريخ القرآن ،للمستشرق الالماني نولدكه ترجمة وقراءة نقدية ، الوحي إلى محمد صل الله عليه وسلم بين الإنكار و التفسير النفسي ، ج1 دار النوادر ،(ط2) وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية قطر ،2011.

-15- أمجد بن يوسف الجنابي : آثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية ،مركز للتفسير الدراسات القرآنية ط2 السعودية /2015 .

المنارة للاستشارات

ww